الباب التمهيدى

التعريف بغير المسلمين وأقسامهم

لما كان موضوع البحث يدور على غير المسلمين ، وأحكام التعامل معهم والاستعانة بهم ، تطلب أن نعرف بغير المسلمين ، ونبين أقسامهم ، لأنهم يتفرعون من حيث العقيدة التى يعتنقونها إلى أقسام عديدة ، وكذلك يتفرعون من حيث التزام الإسلام وعدمه إلى أقسام أيضاً .. ومن ثم فقد جاء هذا الباب فى ثلاثة فصول:

الفصل الأول : التعريف بغير المسلمين .

الفصل الثانى : أقسام غير المسلمين من حيث العقيدة .

الفصل الثالث : أقسام غير المسلمين من حيث التزام أحكام الإسلام .

الفصل الأول

التعريف بغير المسلمين

التعريف بغير المسلمين

غير المسلمين هم : من ليسوا على عقيدة الإسلام ، سواء منهم من لم يدخل الإسلام أصلاً ، أو دخل فى الإسلام ثم خرج منه ثانياً [1] ، وهؤلاء جميعاً يشتركون فى الكفر ، فيصح أن يقال غير المسلمين هم الكفار ، وأعرف فيما يلى الكفر وأبين أقسامه :

تعريف الكفر وأقسامه :

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[2]

جاء فى معجم مقاييس اللغة : " (كفر) : الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد هو الستر والتغطية ، يقال لمن غطى درعه بثوب قد كفر درعه"[3] . وجاء فى لسان العرب لابن منظور : " الكفر نقيض الإيمان آمنا باله وكفرنا بالطاغوت ، كفر بالله يكفر كفراً وكفوراً وكفرانا ، ويقال لأهل دار الحرب :

(١) هناك نوع آخر ، وهم الذين يظهرون الإسلام ويخفون الكفر كالمنافقين ، فيشتركون معهم فى الكفر فى أحكام الآخرة ، وأما أحكام الدنيا فإنهم يعاملون كالمسلمين لأننا أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

(٢) سورة النساء : الآية من ١٥٠ : ١٥١.

(٣) معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٩١ .

قد كفروا ، أى : عصوا وامتنعوا ، والكفر أيضاً كفر النعمة ، وهو نقيض الشكر ، والكفر لجحود النعمة ، وهو ضد الشكر.

وقوله تعالى : ﴿ ...إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴾[1] أى جاحدون "[2].

والكافر الليل المظلم لأنه ستر بظلمته كل شئ ، وكل شئ غطى شيئاً فقد كفره، قال ابن السكيت : " ومنه سمى الكافر لأنه يستر نعم الله عليه "[3]

وقال الليث : " إنما سمى الكافر كافراً ، لأن الكفر غطى على قلبه كله ، وقال الأزهرى : الكفر فى اللغة التغطية، والكافر ذو كفر ، أى ذو تغطية لقلبه بكفره ، كما يقال للابس السلاح كافر ، وهو الذى غطاه بسلاح ، لأن الكافر لما دعاه الله إلى توحيده ، فقد دعاه إلى نعمه وأحبها له فلما أبى ما دعاه إليه من توحيده ، كان كافراً نعمة الله عليه ، أى مغطياً لها بإبائه حاجباً لها عنه .[4]

وكلمتا الكفر والشرك كثيراً ما يستعملها القرآن الكريم بمعنى واحد ، كما فى قول الله تعالى :

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[5]

والقدر المشترك بين الكفر والشرك هو الجحود أى إنكار شيء مع علمه به .[6]

---

(١) سورة القصص : من الآية ٢٨ .
(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٣٨٩٧ ، ١٨٩٨ .
(٣) مختار الصحاح ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ .
(٤) لسان العرب لابن منظور ج ٥ ص ٣٨٩٨ .
(٥) سورة التوبة : الآيتان من ١ : ٢ .
(٦) المعجم الوسيط ج ١ص ١١٢، أضواء البيان فى تفسير القرآن بالقرآن ج ٩ ص ٣٩٨ للشنقيطى .

أما المعنى الاصطلاحى لكلمة الكفر :

فقد قال ابن حزم : " الكفر فى اللغة التغطية ، ثم نقل الله تعالى اسم الكفر فى الشريعة إلى جحد الربوبية ، أو جحد نبوة نبى من الأنبياء صحت نبوته فى القرآن أو جحد شيئاً مما أتى به رسول الله ﷺ مما صح عنه جاحده بنقل الكافة ، أو عمل شئ قام البرهان بأن العمل به كفر [1] . فالكافر هو كل من لم يؤمن بالوحدانية أو النبوة الشريفة [2] ، والكفر صنفان [3] : أحدهما : الكفر بأصل الإيمان، وهو ضده، والآخر : الكفر بفرع من فروع الإسلام ، فلا يخرج به عن أصل الإيمان، أو هو كفر يخرج من الملة ، وكفر لا يخرج من الملة.[4]

أما الكفر المخرج من الملة فهو على أربعة أنواع : [5]

---

(١) الفصل فى الأهواء والملل والنحل ج ٣ ص ١١٨

(٢) المجمع الوسيط ج ١ ص ٧٩١ ، ٧٩٢

(٣) ذكر هذين الصنفين ابن منظور فى لسان العرب ج ٥ ص ٣٨٩٩ ، وذكرهما العينى صاحب عمدة القارى شرح صحيح البخارى ج ١ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١

(٤) انظر مجموعة التوحيد لابن تيمية ، ومحمد بن عبد الوهاب ص ٤ ، ٥

(٥) ذكر هذه الأنواع ابن منظور فى لسان العرب ، والعينى فى عمدة القارى .
وجاء فى مجموعة التوحيد أنه خمسة أنواع ، ولم يذكر تعريفها بالحد ، وإنما ذكر مثالاً لكل منها ، وهى :
الأولى : كفر التكذيب ، والدليل قوله تعالى : (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه) سورة العنكبوت : الآية ٦٨ .

الثانى : كفر الإباء والاستكبار مع التصديق مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ ... ﴾ سورة البقرة ، الآية : ٣٤

الثالث : كفر الشك ، وهو كفر الظن ، والدليل قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴾ سورة الكهف : الآية ٣٦ .

الرابع : كفر الإعراض ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴾ سورة الأحقاف : الآية ٣ .

الخامس : كفر النفاق ، والدليل قوله تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) سورة المنافقون : الآية ٣ .
وبالنظر إليها نجد أنها تتداخل مع الأنواع الأربعة الأخرى (انظر مجموعة التوحيد ص ٤، ٥)

وهى كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق.

فالأول: كفر الإنكار[1]: أن يكفر بقلبه ولسانه، ولا يعرف ما يذكر له من التوحيد.

كما قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[2]

أى الذين كفروا بالتوحيد وأنكروا معرفته.

الثانى: كفر الجحود: أن يعرف بقلبه، ويقر بلسانه ويجحد، وهذا ككفر إبليس، وبلعام بن باعوراء، وأمية بن أبى الصلت.

الثالث: كفر المعاندة: أن يعرف بقلبه، ويقر بلسانه، ويأبى أن يقبل الإيمان بالتوحيد ككفر أبى طالب.

الرابع: كفر النفاق، أن يقر بلسانه، ويكفر بقلبه ككفر المنافقين، يقول ابن القيم: " والكافر وإن اختلفت شعبه فيجمعه خصلتان، تكذيب الرسول فى خبره وعدم الانقياد لأمره".[3]

وأما الكفر بفرع من فروع الإسلام فهو أن يقر بالوحدانية والنبوة الشريفة بلسانه، ويعتقد ذلك بقلبه، لكنه يرتكب الكبائر من القتل، والسعى فى الأرض

(١) ذكر العينى تفسير هذه الأنواع فى عمدة القارى ج ١ ص ٢٠٠.
(٢) سورة البقرة: الآية ٦.
(٣) أحكام أهل الذمة ص ٤٥١ القسم الثانى.

بالفساد ، ومنازعة الأمر أهله ، وشق عصا المسلمين ، ونحو ذلك ، فلا يخرج به عن أصل الإيمان .[1]

لأن الكفر قد يطلق على غير الكفر بالله ، كما ذكر ذلك الإمام النووى [2] ، وقال القاضى أبو بكر بن العربى : " الطاعات كما تسمى إيماناً كذلك المعاصى تسمى كفراً ، لكى حيث يطلق عليها الكفر ، لا يرى بها الكفر المخرج من الملة " [3]

وذلك كما ورد عن النبى ﷺ فيما يرويه عنه البخارى ، فقد أخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبى ﷺ : " أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن ، قيل : يكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط ".[4]

والكفار المعنيون فى هذه الدراسة هم الكفار بأصل الإيمان ظاهرا ، وهؤلاء هم غير المسلمين ، أما المنافق وإن أبطن الكفر فلا يخرج عن أحكام المسلمين فى الدنيا ، لأن الحكم لنا بالظاهر ، ونكل إلى الله السرائر ، وكذلك الكافر بفرع من فروع الإسلام لا يخرج عن المسلمين .

(١) انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى ج ١ .
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ٦٥ .
(٣) ذكر ذلك صاحب عمدة القارى عن القاضى أبى بكر بن العربى ، انظر عمدة القارى شرح صحيح البخارى ج ١ ص ٢٠٠ .
(٤) المرجع السابق (باب كفر دون كفر) ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .